رأس يحيى ورأس زكريا

المشهور على ألسنة الناس في حلب ان الضريح العظيم الذي في جامعها الأعظم فيه جثمان زكريا وقد وصل بنا البحث في تاريخ حلب الى ان الموجود في جامع حلب هو قطعة من رأس يحيى او رأس ابيه زكريا عليهما السلام . واليك البيان :

قال في الدر المنتخب المنسوب لابن الشحنة (ص ٧٤) وذكر ابن العظيمي (الحلبي) في تاريخه في سنة خمس وثلاثين واربعمائة ظهر ببعلبك في حجر منقور رأس يحيى بن زكريا عليهما السلام فنقل منها الى حمص ثم منها الى مدينة حلب في هذه السنة ودفن بهذا المقام (مقام ابراهيم عليه السلام الذي في قلعة حلب) في جرن من الرخام الأبيض ووضع في خزانة الى جانب المحراب واغلقت ووضع عليها ستر يصونها . وذكر الكمال بن العديم في تاريخه ان الملك العادل نور الدين ابن عماد الدين زنكي جدد عمارته . وفي سنة تسع وستماية في ايام الملك الظاهر غياث الدين غازي احترق بنار وقعت فيه وما كان من الخيم والسلاح وآلات الحرب شيء كثير واحترق الجميع ولم يسلم من الحريق الا الجرن المذكور ودفع الله عنه سبحانه النار وهذا مما يدل على ان الرأس الذي وضع فيه رأس يحيى عليه السلام لأن النار لم تصل اليه وحمي منها . وقال كمال الدين (ابن العديم) أيضاً ان ابا الحسن علي بن ابي بكر الهروي [1] أخبره وقال ان بقلعة حلب في مقام ابراهيم عليه السلام صندوقاً فيه قطعة من رأس يحيى بن زكريا عليهما السلام ظهر في سنة اربع وثلاثين واربعماية اهـ .

وفي كتاب الصلصلة في الزلزلة للجلال السيوطي . في سنة ٤٣٤ زلزلت تدمر وبعلبك ومات تحت الردم معظم اهل تدمر اهـ . أقول يظهر ان هذا هو السبب في ظهور رأس يحيى عليه السلام في بعلبك .

---

(١) وفاته سنة ٦١١ وهو صاحب كتاب الاشارات الى معرفة الزيارات .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

سبب نقل هذا الصندوق الى الجامع الأعظم في حلب

قال في الدر المنتخب (ص ٧٦) ما ملخصه : لما تسلم التتر قلعة حلب سنة ثمان وخمسين وستماية اخربوها واخربوا الجامع (الذي فيه المقام) ثم احرقوا المقامين (مقام ابراهيم ومقام الخضر على ما يقال) حريقاً لا يمكن جبره وذلك في احد الربيعين من سنة تسع وخمسين وستماية .

ولما احرق المقام الذي هو الجامع عمد سيف الدولة ابو بكر بن ايلبا الشحنة بالقلعة المذكورة والناظر على الذخائر وشرف الدين ابو حامد بن النجيب الدمشقي الأصل الحلبي المولد الى رأس يحيى بن زكريا عليهما السلام فنقلاه من القلعة الى المسجد الجامع في حلب ودفناه غربي المنبر وقيل شرقيه (وهو الصواب) وعمل له مقصورة وهو يزار اه .

وفي الجزء الأول من تاريخنا (اعلام النبلاء ص ٢٩٥) نقلاً عن هامش تجارب الأمم نقلاً عن صاحب تاريخ الاسلام (الذهبي) في حوادث سنة ٣٥٧ في هذه السنة في ذي القعدة اقبل عظيم الروم نقفور بجيوش الى الشام فخرج من الدرب ونازل انطاكية (الى ان قال) ثم سار الى كفرطاب وشيزر ثم الى حماة وحمص فخرج من بقي بها فأمنهم ودخلها فصلى في البيعة وأخذ منها رأس يحيى بن زكريا واحرق الجامع ثم سار الى عرقة الخ . فهذه الرواية تفيد ان رأس يحيى كان في حمص ولعل نقفور نقله الى بعلبك ثم ظهر فيها على أثر الزلزلة التي حصلت فيها سنة ٤٣٤ كما تقدم او ان هذه الرواية لا أصل لها .

قال ابن الوردي في تتمة تاريخ ابي الفدا في حوادث سنة ٧٣٨ في هذه السنة في صفر توفي بدر الدين محمد بن ابراهيم بن الدقاق الدمشقي ناظر الوقف في حلب . وفي ايام نظره فتح الباب المسدود الذي في الجامع شرقي المحراب الكبير لأنه سمع ان بالمكان المذكور رأس زكريا النبي صلى الله على نبينا وعليه وسلم فارتاب في ذلك فأقدم على فتح الباب المذكور بعد ان نهي عن ذلك فوجد باباً عليه تأزير رخام ابيض ووجد في ذلك تابوت رخام ابيض فوقه رخامة بيضاء

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مربعة فرفعت الرخامة عن التابوت فاذا فيها بعض جمجمة [1] فهرب الحاضرون هيبةً لها ثم رد التابوت وعليه غطاؤه الى موضعه وسد عليه الباب ووضعت خزانة المصحف العزيز على الباب وما انجح الناظر المذكور بعد هذه الحركة وابتلي بالصرع الى ان عض لسانه فقطعه ومات نسأل الله ان يلهمنا حسن الأدب اهـ .

توسيع تلك الخزانة الى حجرة كبيرة وضريح عظيم

وذلك في سنة ١١٢٠ وهو ما عليه الآن

جاء في تاريخنا (اعلام النبلاء) في حوادث سنة ١١١٩ في هذه السنة ولي حلب عبدي باشا . وجاء في حوادث سنة ١١٢٠ قال قاضي حلب عبد الرحمن ابن مصطفى الكيبري الذي تولى القضاء فيها هذه السنة في آخر رسالة له ذكر فيها نبذة من تاريخ حلب أغلبها مما يتعلق بالجامع الكبير . وفي زماننا هذا وهو زمان السلطان احمد خان بن السلطان محمد خان امر الوزير الأعظم الصدر علي باشا في زمان حكومة الفقير بتوسيع المرقد المقدس فشرعنا في تنفيذ أمره في اليوم الرابع من شعبان سنة عشرين ومائة والف وهدم الحائط الشرقي (أي شرقي المنبر) وهو محل المقام ووراء الصندوق الذي هو ستر جلاله من قديم الأيام إذ ظهر هذا الجرن بين الحائط المرئي والحائط القديم وهو من الرخام الأبيض فلما أخذنا في حمله فاح منه رائحة طيبة أزكى من المسك فحملناه بالتسليم ووضعناه في خزانة واحضر اكثر من ثلاثين شخصاً من حفاظ القرآن الكريم وصاروا يقرؤن عنده ويهللون ولازموا المكان ليلاً ونهاراً الى ان تم ذلك المقام . ولما كان يوم الجمعة قبل العصر حادي عشر ذلك الشهر من السنة المرقومة اجتمعنا مع الوالي وهو الدستور المكرم حضرة عبدي باشا والعلماء والأعيان ورفعنا الجرن المبارك مع الوزير والعلماء والصلحاء ووضعناه في جرن أكبر منه موضوع فوق بناء مؤسس مرتفع عن الأرض ووضعنا فوقه من الرخام والتراب الذي كان معه من الأزمنة الماضية وغطيناه بالرخام والتراب والقراء يقرؤن القرآن

(١) هذا يؤيد ما جاء عن الهروي ان الموجود في هذا الصندوق هو بعض الرأس .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ويطلبون الرحمة والرضوان والحمد لله على ما انعم من هذه النعم الجليلة والبركة الجميلة التي لم تتيسر الا لآحاد من الناس اه باختصار وقال بعد ذلك وهو مما يجب ان لا نختصره . وصلاة على نبينا الأكمل وعلى صاحب هذا المقام الأجمل ، سيدنا ابي الخصور زكريا عليه وعلى نبينا أفضل التحية .

وفي ترجمة مفتي حلب علي بن اسد الله المتوفى سنة ١١٣٠ (ج ٦ ص ٤٥٨) وتولى افتاء الحنفية بحلب مدة خمس عشرة سنة الى ان مات وكان اذ ذاك متولياً على جامع بني أمية بحلب . وفي ايام توليته عليه امر بترمات الجامع المذكور ومرمات بعض حيطانه فظهر من احد الحيطان لما قشروا عنه الكلس رائحة تفوق المسك والعنبر واذا فيه صندوق من المرمر مطبق ملحوم بالرصاص مكتوب عليه هذا عضو من أعضاء نبي الله زكريا عليه الصلاة والسلام فاتخذوا له هناك في ناحية القبلة في حجرة قبراً في مكانه الآن وحمل الصندوق اليه جميع العلماء والصالحين بالتعظيم والتبجيل والتوقير والتكبير وذلك سنة عشرين ومائة والف اه وفي تلك المدة كان مقيماً في حلب شاعر كبير من شعراء الأتراك يعرف بالنابي فنظم قصيدة غراء تركية في ٥٤ بيتاً وهي مذكورة في ديوانه المطبوع (ص٧٩و٨٠) ذكر فيها ظهور هذا الصندوق وبناء هذا الضريح ووضع هذا الصندوق فيه وما حصل وقتئذ ترجم لنا هذه القصيدة نثراً بعض فضلاء الأكراد العارفين باللغتين العربية والتركية الا بعض ابيات منها متعلقة بالمديح والدعاء للسلطان مما هو خارج عما نحن فيه وهي لا تخرج عما تقدم مما ذكرناه عن قاضي ومفتي حلب الا أنه قال ان ذلك كان في السابع عشر من شعبان من سنة ١١٢٠ ولا ادري ايهما اصح والخطب سهل .

وصف الحضرة النبوية الحاضر

وصف الحضرة النبوية زميلنا وصديقنا الشيخ كامل الغزي رحمه الله في تاريخه نهر الذهب (ج ٢ ص ٣٤٤) فاكتفينا به . قال : محلها بين العضادة العاشرة والحادية عشرة من الصف الأول (شرقي المحراب) في حجرة مربعة تبلغ ٤ اذرع في مثلها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تقريباً يصعد اليها من أرض القبلية بدرجة واحدة سقفها قبة لها على سطح الجامع كوات بشبكات من الحديد . وفي قاعدة القبة شبكة كالسقف مفتوحة من من النحاس بعيون مربعة تبلغ فتحة واحدتها ثلاثة قراريط في مثلها ترتفع عن أرض الحجرة نحو ثمانية اذرع وجدران الحجرة الثلاثة التي هي الغربي والشرقي والجنوبي المقابل وجه المصلي ظهارتها من أرض الحجرة الى الشبكة المذكورة مبنية بأجمل أنواع الخزف المعروف بالقاشاني وباب هذه الحجرة وهي الجهة الرابعة منها قنطرة مشادة عالية حجارتها سود وصفر محمولة على عمودين عظيمين (من الرخام الأصفر) وارتفاعها من ختمها الى ارض القبلية ثمانية اذرع في عرض اربعة اذرع وهذه القنطرة العظيمة مع العمودين المحمولة عليهما لها غلق يستوعبها من أرض الحجرة الى ختم القنطرة من نحاس اصفر مشبك ببعضه على شكل مربع وهو من رأس العمودين الى ارض الحجرة ذو مصراعين يفتح ويغلق وسعة عيون شبكاته قيراطان في مثلها . ومن رأس العمودين الى ختم القنطرة قطعة واحدة لا تفتح ولا تغلق وسعة عيون شبكاته قيراط واحد في مثله . وفي جانب كل من العمودين المذكورين لمعة ظهارتها من الخزف القاشاني المذكور مكتوب على زنار شبكة الباب شعر تركي لنابي الشاعر المشهور .

قال في نهر الذهب : أما صندوق الجرن الشريف فهو في وسط الحجرة من الخشب على صفة ضريح عليه كسوة من مخمل مزركش بالقصب الفضي مكتوب فيه بعض سورة مريم . وهذه الكسوة انعم بها المرحوم السلطان عبد العزيز خان سنة ١٢٩١ وكان قبلها كسوة سرقت قديمة بالية وضعت سنة ١٢٣٢ على أثر كسوة سرقت في السنة المذكورة . وهذه الكسوة التي هي قبل الكسوة الحاضرة ارسلت الي استانبول ووضعت هناك في محل الآثار القديمة . وعلى هذه الكسوة الجديدة فوق سنام الضريح عدة شالات ثمينة عجمية وهندية . (ثم قال) ويوجد هناك عشرة قناديل فضة صغار وقنديلان كبيران من الفضة وقنديل ذهب وشمعدان فضة وقمقم ومبخرة فضة وغير ذلك من البلور والسجادات والبقج والشالات اهـ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ما قاله المؤرخون عن مقتل يحيى ومكان قبره وقبر أبيه زكريا عليهما السلام

في عرائس المجالس للثعلبي بعد كلام طويل بين فيه سبب مقتله · قتل وهو قائم يصلي في بيت المقدس في محراب داود وأخذ رأسه ·

وفي معجم البلدان في الكلام على دمشق · والمسجد الصغير الذي خلف جيرون يقال ان يحيى بن زكريا عليهما السلام قتل هناك ·

وفي الجزء الرابع من صبح الأعشى ص ٩٦ وقد ورد ان المسيح عليه السلام ينزل على المنارة الشرقية ويقال ان القبة التي فيها المحراب لم تزل معبداً لابتداء عمارتها والى آخر الوقت بناها الصابئة معبداً ثم صار الى اليونانيين فكانوا يعظمون فيها دينهم ثم انتقل الى اليهود فقتل يحيى بن زكريا عليه السلام ونصب رأسه على باب جيرون من أبوابه فأصابته بركته ثم صار الى النصارى فجعلتها كنيسة ثم افتتح المسلمون دمشق فاتخذوه جامعها وعلق رأس الحسين عليه السلام عند قتله في المكان الذي علق عليه رأس يحيى بن زكريا الى ان جدده الوليد · ويقال ان رأس يحيى عليه السلام مدفون به · وبه مصحف عثمان الذي وجه به الى الشام ·

وقال في المعجم في الكلام على جامع دمشق (ص ٨٠) وبالجامع رأس يحيى بن زكريا عليه السلام وفيه في (ج ٥ ص ٣٩) في الكلام على سبسطية ان سبسطية بلدة من نواحي فلسطين بينها وبين البيت المقدس يومان · وبها قبر زكريا ويحيى ابن زكريا عليهما السلام وجماعة من الأنبياء والصديقين وهي من أعمال نابلس ·

وفي مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري المتوفى سنة ٧٤٩ (ج ١ ص ١٨٨) قال احمد بن ابراهيم الغساني حدثنا ابي عن أبيه عن زبير بن واقد قال وكلني الوليد على العمال في بناء مسجد دمشق فوجدنا فيه مغارة فعرفنا الوليد ذلك فلما كان الليل وافى والشموع تزهر بين يديه فنزل واذا كنيسة لطيفة ثلاثة اذرع في ثلاثة واذا فيها صندوق فاذا فيه سفط وفي السفط رأس يحيى بن زكريا فأمر به الوليد فرد الى المكان · وقال اجعلوا العمود الذي فوقه مغيراً من الأعمدة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فجعل عليه عمود مسفط الرأس وفيه (في ص ٢٢٠) قبر يحيى وزكريا . يقال انهما بسبسطية . وحكى ابن عساكر عن زيد بن واقد الخ ما تقدم وزاد بعد قوله وفي السفط رأس يحيى بن زكريا : مكتوباً عليه هذا رأس يحيى بن زكريا الخ ما تقدم ثم قال قال زيد بن واقد رأيت رأس يحيى بن زكريا وعليه البشرة والشعر على رأسه لم يتغير . وقال القاسم بن عثمان الجوعي سمعت الوليد بن مسلم وسئل أين بلغك رأس يحيى بن زكريا قال بلغني انه ثم وأشار بيده نحو العمود المسفط الرابع من الركن الشرقي . وقال هشام ابن عمار حدثنا محمد بن شعيب قال دخلت مع شداد بن عبد الله من باب الدرج فقال لي : ترى ها هنا كتابة بالرومية قلت لم . فصلى ركعتين وقال ها هنا رأس يحيى بن زكريا . وروى القاسم الجوعي عن الوليد بن مسلم انه سأل الأوزاعي . أين بلغك رأس يحيى بن زكريا . قال في العمود الرابع المسفط اهـ .

ونحو ذلك في البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (ج ٩ ص ١٥٦) وزاد فيه وقال الوليد بن مسلم عن زيد بن واقد ، قال حضرت رأس يحيى بن زكريا وقد أخرج من الليطة القبلية الشرقية التي عند مجلس سجيلة فوضع تحت عمود الكناسة اهـ

وفي أوائل الرحلة القدسية للشيخ عبد الغني النابلسي الدمشقي المتوفى سنة ١١٤٣ ثم سرنا فمررنا في الطريق على قرية سبسطية وبعضهم يقول باسطين بياء بعدها نون وهي فلسطين المشهورة وذكر الهروي في زياراته قال سبطين هي فلسطين بها بدن يحيى بن زكريا عليهما السلام وقبر امه وقبر اليسع .

يلخص مما تقدم

ان مؤرخي حلب المتقدمين بعضهم يقول وهم الأكثر ان في جامعها رأس يحيى والهروي منهم يقول قطعة من رأسه ولم يقل لنا احد منهم ان فيه زكريا أو رأسه

وابن الوردي المتوفى بحلب سنة ٧٤٩ يقول لنا انه رأس زكريا عليه السلام . وثلاثة متعاصرون وهم مفتي حلب علي بن اسد الله وقاضيها عبد الرحمن الكيبري

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والشاعر نابي التركي الذين كانوا وقت توسيع الخزانة الى الحجرة الحاضرة سنة ١١٣٠ هـ يقولون انه رأس زكريا أو عضو من اعضائه والقلقشندي المصري مؤلف صبح الأعشى وياقوت الحموي المتوفى بحلب وابن فضل الله العمرى الدمشقي والحافظ ابن كثير الدمشقي يقولون ان الموجود بجامع دمشق هو رأس يحيى عليه السلام

وهنا كما ترى قد تعارضت الأخبار فأيها الصحيح ويمكن الجمع بينها ان يقال ان قطعة من رأسه بجامع دمشق وقطعة منه بجامع حلب كما أفصح بذلك الهروي وكما قال ابن الوردي ان في الصندوق بعض جمجمة ٠

والتعارض باق بين مؤرخي حلب الأقدمين القائلين ان الموجود بحلب هو رأس يحيى وبين المتأخرين منهم القائلين انه رأس زكريا ٠ وعلى كل لا يخلو جامع حلب من اثر نبوي هو اما قطعة من رأس يحيى او رأس ابيه زكريا عليهما السلام ٠ ولا يوصلنا الى الصحة ولا يوقفنا على الحقيقة الا الكشف على الصندوق وقراءة ما كتب عليه بدقة ٠ وهل هذا متيسر او متعسر ندع الجواب عنه لغيرنا ٠

وصاحب المعجم في الكلام على سبسطية يقول ان بها قبر يحيى وزكريا عليهما السلام بدون تفرقة بين رأسهما وبدنهما ٠ والنابلسي يقول لنا في رحلته ان بها بدن يحيى ولم يذكر زكريا فبقي مكان جثمانه مجهولاً ولعله لعلمه ان في دمشق رأس يحيى وهو مما لا خلاف فيه عند مؤرخي دمشق وأهاليها ذهب الى ان الموجود في سبسطية هو بدنه دفعاً للتعارض والله اعلم ٠

(حلب) محمد راغب الطباخ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net